الضوابط الشرعية

لاختيار النخبة القيادية

تأليف

د . أحمد عدنان الحمدانى

1437هـ مكتب الشيخ / بغداد 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (*) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (*) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }

[الأحزاب/70-72]

((عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا تعرض فيما لا يعنيك ، و اعتزل عدوك ، و احتفظ من خليلك إلا الأمين ، و إن الأمين ليس من القوم أحد يعدله ، و لا أمين إلا من خشى الله عز و جل ، و لا تصحب الفاجر كي يحملك على الفجور ، و لا تفش إليه سرك ، و شاور في أمرك الذين يخشون الله عز و جل))

شعب الإيمان – البيهقي ، ج 7 ، ص 56

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على افضل الخلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم :

انَّ اختيار النخبة هي بمثابة أهل الحل والعقد التي تخرج منه الفتوى في الأمور المهمة لشؤون الناس ، وهذا ما كان عليه السلف الصالح من واقعهم الذي عاشوه وتفاعلوا معه وتطبيقهم للنظم التي قررها الشارع الحكيم ، وتكلم أهل الفقه عن هذه النظم في جميع كتبهم ، ولأن أمور الرعية لا تستقيم إلا وفق المنهج الرباني لصلاح حياتهم الدنيوية والآخروية ، فكان من الضروري وجود مثل هذه الثُلة أو النخبة بحياة أهل الإسلام لئلا يتصرف كل شخص ما تملي عليه فكره ومزاجه ، أو تسيس أمور الناس كما تشتهي الاحزاب والجماعات فتضيع الأمة بين صاحب هوى ، وحزب ، وفرقة ، وتتمزق الأمة بين أهل فساد الرأي والأهواء .

وهذا الواقع بعد احتلال بغداد العزيزة، والخونة يصفقون إليه لطمس حضارة بغداد ، وفي هذا الأثناء ظهرت تجمعات دينية لتسد الفراغ بعد أن ذُهل الناس لهذا الخطب العظيم ، فأعطت نتاج طيب ومبارك في حينها ، ولكن أصابها التصدع والضعف والضمور ، وهذا بسبب عدم بناءها على أسس راسخة ومتينة ورصينة ، وان كانت النوايا طيبة ، ولكن لم تثبت على المنهج والطريق الذي كان عليه سلفنا الصالح لعدم وجود من أهل الحل والعقد من قوة ، وخصوصا مثل هذه الهجمة .

قال تعالى :{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ (*) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [النحل: 92، 93] ([1]) .

فتدَّخل بها أهل الظهور والنفعية ، بل ومن ليس لهم لا دين ، ولا حتى حب الوطن ، والإنسانية ، وإنما همهم كيف يتسلق أو يستفيد من الوضع القائم ، فهو يتصافح مع الشيطان ليصل إلى مآربه الدنيئة ، ومع الأسف إما جهلاً أو طمعاً يصفق لهؤلاء السفلة عامة الناس ، فتسلقوا على رقابهم ، وعلى دمائهم ، وأموالهم ، واعراضهم([2]) .

لم يكن الفكر حاضراً ؛ بل حتى القلب غافلاً ، أو قاسياً ، فضاعت الأمة بسبب مثل هذه الأمور ، وتعدى إلى أمر آخر هو انتشار الحسد بين الطامعين ، فأسس الحقد كبناءٍ شامخ في القلوب ، بالرغم من المصائب والدمار الذي حلَّ ، تكبر هذه الأمراض في القلوب وتنتشر ، فكان الحق باطلاً والباطل حقاً، فكل تجمع ، أو تحزّب ، أو أي جماعة تظهر تتهاوى وتسقط بسرعة هائلة بسبب بنائها الفاسد المتهرئ ، أو ما يُحفر من تحتها من بني جلدتهم ، فضاعت الحقوق تحت مسمى الدين.

فكان لزاماً عليَّ أن اطرح مثل هذا الطرح ، وأنوه على عوامل شرعية وأساسية في بناء أي مؤسسة لكي تحافظ على قوتها ورصانتها منذ البداية ؛ لكي لا تقع كما وقعت بها التجمعات السابقة فيؤدي بالتالي إلى فشلها ، وهذه العوامل التي علمنا إياها الشرع الحنيف كما وردت في الكتاب والسنة ، ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وقبل البدء بمثل هذا الموضوع نتكلم عن العدل ، لان العدل أساس الحكم ، فإذا كان اختيار النخبة لتستلم زمام الأمة من حكم أو تسيس ، أو توجيه ، أو فتوى ، أو أي عمل لتنظيم الناس عليه لمنفعتهم ، فيجب ان تكون هذه النخبة عادلة "وأعدل العدل هو توحيد

---

[1] – ليس المقصود فقط العراق ، وإنما تشمل عدة دول وكل دولة لها وضعها الخاص ، والنوايا الطيبة فقط لا تنفع إلا بثوابت وقوة ، وهذه الثوابت تستمد من الشرع .

[2] – مسند أحمد بن حنبل ، ج 2 ، ص 291، برقم (7899):عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ ، قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ . قلت : وهو حديث حسن وله شاهد من حديث انس رضي الله عنه.

الله سبحانه" ، فإذا استقر هذا التوحيد في القلب عَظُم في نفسه المهابة والخوف من الله ، فلا يتفوه بفتوى ، أو حكم إلا على أساس الشرع الحنيف مع الخوف من الله سبحانه .

قال ابن القيم رحمه الله : ([1])((فخطر المفتي عظيم فإنه موقِّع عن الله ورسوله زاعم ان الله امر بكذا وحرم كذا أو أوجب كذا)) ، وقال([2]) : ((فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدَّ له عدته وأن يتأهب له أهبته ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فإن الله ناصره وهاديه ، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى :{ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ } [النساء/127] ، وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة إذ يقول في كتابه: { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ } [النساء/176] ، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه وليوقن أنه مسئول غدا وموقوف بين يدي الله)) .

فمثل هذه الشخصيات تكون مع الحق ضد الباطل حتى لو خالفت مصالحها أو رغباتها ، والمشكلة كل المشكلة عندما يتقدم ممن يدَّعي الدين ، أو الفتوى وهو بعيد عن الله سبحانه وعن شرعه ، ويفتي لحزبه ، أو جماعته ، ويلوي النصوص الشرعية بما يشتهي ، لا بأمر الشرع ، ويدعمها بذكر آية ، أو حديث ، أو أختار فتوى من فتاوى أهل العلم و يسخرها لنفسه وهواه ، لا عبودية لله سبحانه ، أو بما يوافق النصوص الشرعية التي أمرنا الله بها ؛ فكان هناك هبوطا قويا لمن يدعي الدين والإسلام ، ووافق أحكام الهوى والشيطان والجماعات والاحزاب فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن تيمية رحمه الله([3]) : ((وَإِنَّمَا دِينُ الْحَقِّ هُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ وَهُوَ تَحْقِيقُ مَحَبَّةِ اللَّهِ بِكُلِّ دَرَجَةٍ وَبِقَدْرِ تَكْمِيلِ الْعُبُودِيَّةِ تَكْمُلُ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَتَكْمُلُ مَحَبَّةُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ وَبِقَدْرِ نَقْصِ هَذَا يَكُونُ نَقْصُ هَذَا ؛ وَكُلَّمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ حُبٌّ لِغَيْرِ اللَّهِ كَانَتْ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ وَكُلَّمَا كَانَ فِيهِ عُبُودِيَّةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ كَانَ فِيهِ حُبٌّ لِغَيْرِ اللَّهِ

---

[1] – إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، (دار الجيل ، بيروت ، 1973م) ، ج4 ، ص 189 .

[2] – نفس المصدر ، ج1 ، ص11 .

[3] – مجموع الفتاوى ، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، (دار الوفاء ، 1426هـ/2005م) ، ج 10 ، ص 213 .

بِحَسَبِ ذَلِكَ ، وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لَا تَكُونُ لِلَّهِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ . فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ وَلَا يَكُونُ لِلَّهِ إِلَّا مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ الْمَشْرُوعُ .

فَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ شَرْعَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ ؛ بَلْ لَا يَكُونُ لِلَّهِ إِلَّا مَا جَمَعَ الْوَصْفَيْنِ : أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ . كَمَا قَالَ : { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف/110]، فَلَا بُدَّ مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة/112])).

قال تعالى :{ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ } [سورة المائدة / الآية 2] .

قال الطبري([1]) : (يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري).

قال القشيري([2]) : (ألا تجاوزوا حدّ الإذن فى الانتقام، أي كونوا قائمين بنا، متجردين عن كل نصيب وحظّ لكم).

قال ابن كثير([1]) : (أَيْ: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضِ أَقْوَامٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ، فَإِنَّ الْعَدْلَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فِي كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حَالٍ.وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا عاملتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، وَالْعَدْلُ بِهِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) .

---

[1] – جامع البيان ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (مؤسسة الرسالة ، 1420هـ)، ج10، ص 95.

[2] – لطائف الإشارات المعروف بتفسير القشيري ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت465هـ) ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، (ط3 ، الهئية المصرية للكتاب) ، ج1 ،ص398 .

قال ابن الأخوة([2]) : (شَرْطِ الْمُحْتَسِبِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا حُرًّا ، بَالِغًا ، عَاقِلًا ، عَدْلًا ، قَادِرًا) .

قال تعالى : { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } [ص/26].

قال القرطبي([3]) : (فدَّل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة أو رجاء نفع، أو سبب يقتضي الميل من صحبة أو صداقة، أو غيرهما).

قال الجزائري في تفسيره ([4]) : (قلنا له أي بعد توبته وقبولها يا داود {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس {فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} أي بالعدل الموافق لشرع الله ورضاه، {وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى} وهو ما تهواه نفسك دون ما شرَّع الله، {فَيُضِلَّكَ } أي اتباع الهوى ، يضلك عن سبيل الله المفضي بالعباد إلى الإسعاد والكمال ، وذلك أن الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الإلهية انتظمت بها مصالح العباد ونفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لا غير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين، وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} القائم على الإيمان والتقوى وإقامة الشرع والعدل هؤلاء {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الدنيا والآخرة {بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} أي بسبب نسيانهم ليوم القيامة فتركوا العمل له وهو الإيمان والتقوى، التقوى التي هي فعل الأوامر الإلهية واجتناب النواهي في العقيدة والقول والعمل).

---

[1] – تفسير ابن كثير)ت سلامة(،ج2، ص12.

[2] – ابن الأخوة ، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي ، (ت729هـ) ، معالم القربة في طلب الحسبة ، ج 1 ، ص 2 .

[3] – تفسير القرطبي ، ج 15 ، ص 189 .

[4] – أبو بكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، (ط5 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1424هـ/2003م) . ج 4 ، ص 446.

وقال البعلي([1]) : (وَقد أَمر الله تَعَالَى بِالْعَدْلِ ثمَّ علم سُبْحَانَهُ أَنه لَيْسَ كل النُّفُوس تصلح على الْعدْل ، بل تطلب الْإِحْسَان وَهُوَ فَوق الْعدْل فَقَالَ {إِن الله يَأْمر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان} [سورة النحل :90] فَلَو وسع الْخلق الْعدْل لما قرن الله بِهِ الْإِحْسَان فَمن لم يصلح حَتَّى يُزَاد على الْعدْل كَيفَ يصلح إِذا لم يبلغ بِهِ الْعدْل.

وَحكى أَنه شكي على بعض الْعمَّال عِنْد خَليفَة زَمَانه فكشف عَن سيرته فَلم يُوجد عَلَيْهِ شَيْء من الْجور فَقَالَ الْخَلِيفَة لَا أعزله عَنْكُم وَهُوَ عَادل فَقَالَ لَهُ بعض النَّاس صدق أَمِير الْمُؤمنِينَ هُوَ عَادل وَلَكِن لم يحسن وَقد أَمر الله بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان فَعَزله عَنْهُم) .

فهذه الرسالة الصغيرة بينت فيها كيفية اختيار النخبة وفق الضوابط الشرعية بعيدة عن الأحزاب ، والفِرق ، والوجاهات الطبقية والعشائرية ، لأن الأمر يتعلق بأمة وحقوق العباد ، فكل من يساهم على الباطل فهو على شفا نار جهنم وبئس المصير ، فأسأل الله أن يكون طرحنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وينتفع بها أهل العلم واليقين وخدمة لعباده .آمين

فإن كان صوابا فمن الله سبحانه وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور

أحمد عدنان الحمداني

بغداد

---

[1] – البعلي ، محمد بنمحمد بن عبد الكريم البعلي ابن الموصلي (ت774هـ) ، حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، (دار الوطن ، الرياض) ، ص 69 .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الرسلين محمد صلى الله عليه وعلى اله الطيبين وصحابته الكرام الميامين .

يجب أن يتصف أهل الحل والعقد بصفات على أساسها يتم اختيارهم لعدة أمور يجب الأخذ بها لتكون مقبولة عند الله وعند الناس ، وبعيدة عن الفوضى والمحسوبية :

أولاً : العلم

قال تعالى { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } سورة [الزمر /9] ، وقال تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر/28]، وقال تعالى { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء/83].

من المعلوم بالعلم تظهر به الحقائق ، وبه تُبْصَر الأشياء كما تبصر بالشرح ، وبه تُعرف المنافع من المضار ، وهو الذي يمسك أعنة النفوس عن الأهواء ، ومن ليس له علم يكون ضعيفاً وأن كان قوياً ، وفقيراً وأن كان غنياً ، وقد تبين : أن العلم أصل والقوة فرع .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها الحديث الصحيح من رواية أنس رضي الله عنه :- ((يؤم القوم أقرؤهم للقران))([1]) وقال صلى الله عليه وسلم : ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة))([2]) .

أن أهمية العلم تأتي لإرشاد الناس إلى الأمر الصحيح ، فهو الدليل لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة ، وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم الحظوة من صاحبتهِ رضوان الله عليهم من كان له علم ، فكانوا قريباً منه في المشورة كأمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن

---

[1] – الجامع الصحيح ، ج2 ، ص1328 .

[2] – الجامع الصحيح ، ج2 ، ص1328 .

كعب وابن مسعود وسعد بن عبادة وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ممن اتصفوا بميزة العلم أكثر من سواهم ، فهم النخبة التي تحيطه صلى الله عليه وسلم وهم أهل الحل والعقد ، فكان صلى الله عليه وسلم يبعث من له علم من الصحابة إلى القبائل لتعليمهم وتوجيههم كما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن .

قال ابن حجر([1]) : (وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها أي إذا لم يكن فيها نص بحكم معين ، وكانت على أصل الإباحة فمراده ما احتمل الفعل والترك احتمالاً واحداً ، واما ما عرف وجه الحكم فيه فلا ، واما تقييده بالأمناء فهي صفة موضحه ؛ لأن غير المؤتمن لا يستشار ولا يلتفت لقوله ، واما قوله بأسهلها فلعموم الأمر بالأخذ بالتيسير والتسهيل ، والنهي عن التشديد الذي يدخل المشقة على المسلم .

قال الشافعي : انما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبهه على ما يغفل عنه ويدله على مالا يستحضره من الدليل لا ليقلد المشير فيما يقوله فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وقد ورد من استشارة الأئمة بعد النبي صلى الله عليه و سلم أخبار كثيرة منها مشاورة أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الردة ، وأخرج البيهقي بسند صحيح عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم ، وان علمه من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى به ، وان لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السُنة ، فإن اعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم ، وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك وتقدم قريبا ان القراء كانوا أصحاب مجلس عمر ومشاورته ومشاورة عمر الصحابة في حد الخمر ، ومشاورة عمر في قتال الفرس ، ومشاورة عمر المهاجرين والأنصار ثم قريشا لما أرادوا دخول الشام وبلغه ان الطاعون وقع بها) .

---

[1] – فتح الباري ج 13 ، ص 342 ، ويُنظر الجامع لأحكام القران ، المعروف بتفسير القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي ، (761هـ) ، تحقيق سمير هشام البخاري ، (ط1 ، عالم الكتب ، الرياض ، 2003م) . ج 4 ، ص 251 .

قال ابن عاشور([1]) : (ولم يزل من سنة خلفاء العدل استشارة أهل الرأي في مصالح المسلمين ؛ هذا والشورى ممَّا جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة ، أي فطرة على محبّة الصلاح وتطلّب النجاح في المساعي ؛ ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتَّشاور في شأنه إذ قال للملائكة : {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة/30]، إذ قد غَنِي الله عن إعانة المخلوقات في الرأي ، *ولكنَّه عرض على الملائكة مراده ليكون التَّشاور سُنّة في البشر ضرورة أنّه مقترن بتكوينه* ، فإنّ مقارنة الشيء للشيء في أصل التكوين يوجب إلفه وتعارفه ، ولمَّا كانت الشورى معنى من المعاني لا ذات لها في الوجود جعل الله إلفها للبشر بطريقة المقارنة في وقت التكوين .

ولم تزل الشورى في أطوار التاريخ رائجة في البشر فقد استشار فرعون في شأن موسى عليه السَّلام فيما حكى الله عنه بقوله : { فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الأعراف/110]. واستشارت بلقيس في شأن سليمان عليه السلام فيما حكى الله عنها بقوله : { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ} [سورة النمل /32] ؛ *وإنَّما يلهي النَّاس عنها حبّ الاستبداد ، وكراهية سماع ما يخالف الهوى ، وذلك من انحراف الطبائع وليس من أصل الفطرة* ، ولذلك يهرع المستبدّ إلى الشورى عند المضائق .

قال ابن عبد البرّ في بهجة المجالس : "الشورى محمودة عند عامّة العلماء ، ولا أعلم أحداً رضِي الاستبداد إلاّ رجل مفتون مخادع لمن يطلب عنده فائدة ، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة ، وكلا الرجلين فاسق").

فهنا نسأل من هم أهل المشورة ؟ أقول : هم أهل العلم بالأمر الذي يُستشار به ؛ إن كان دينياً ؛ أو عسكرياً ؛ أو تربوياً أو غير ذلك من الأمور التي تهم الأمة وتسييرها .

ونحن نُقدم على مثل هذا العمل لتوجيه الأمة وعدم تسيسها لجهة ما ، يجب أن نُقدَّم من له علم جيد ؛ ويُتفق عليه من طيفه من أهل الشأن ؛ لا من عامة الناس لئلا تهدر الجهود

---

[1] – التحرير والتنوير والمعروف بتفسير ابن عاشور ،محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان) . ج 1 ، ص 850.

وبدوره يضيع على المجتمع النهوض والقوة([1]) ؛ بسبب التسابق اللاشرعي ، وهذا أحد صور الظلم الذي يتعرض له أهل الإسلام كما دل عليه الحديث الصحيح من حديث جبريل عليه السلام : ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)) قال : كيف أضاعتها ؟ ، قال : ((أن وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة))([2]).

عن عمر رضي الله عنه قال: من استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله([3]).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم ، قَالَ : (مَنِ اسْتَعْمَلَ عَامِلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ)([4]).

وهذه جرأة على الله سبحانه وتعالى وهو يُقدَّم نفسه على من هو أفضل منه ؛ وبدوره سيأتي بمن هو على شاكلته الذي هو خلاف الواقع وما تحتاج له الأمة لنهوضها وازدهارها ؛ لغرض دنيوي أو طمع مادي ، أو منافسة غير شريفة ، كل أؤلئك شهداء زور يلحقهم من الوعيد الوارد في حق شاهد الزور كما ورد في الحديث ((الا أنبئكم باكبر الكبائر ؟ ثلاثا ، قلنا : بلى يا رسول الله ! قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا :– ليته سكت))([5]) .

وسبب الاهتمام بذلك وتكراره من قبله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في نفس النبي صلى الله عليه وسلم بشأنه كون الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس ، والتهاون

---

[1] – وهنا لا نستهين بعامة الناس ، ولكن الرجل العامي فهمه بسيط ولا يحيط بالأمور كما ينبغي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الإنسان العادي سريع التسيس ، وأخيراً من غير الممكن أن يستوي الإنسان الفاهم والعالم والمثقف مع الإنسان العادي ، فمثل هذا الشخص يُسيَّس حزبياً ، أو طائفياً ، أو إعلامياً ، أو مادياً وغير ذلك من الأمور التي تدمر الشعوب والبلدان .

[2] – البخاري ، الصحيح ، ج1 ، ص142 ، برقم (59) .

[3] – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، التقي الهندي ، ج 5، ص 761 .

[4] – سنن البيهقي الكبرى ، ج 10 ، ص 118 برقم (20151). وفي السنة لابن أبي عاصم ،ج2 ، ص 626 :عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:627]: «مَنِ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا عَلَى قَوْمٍ، وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُو أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ، وَخَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَانَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ» .

[5] – البخاري ، الصحيح ، برقم (2511) ، مسلم ، الصحيح ، برقم (87) .

بها أكثر ، والعوامل التي تسهل الوقوع بها كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما ، فاحتيج إلى التنبيه بتعظيم أمرِها ، فكيف بهذه الشهادة التي تخص الأمة ؟ ونحن في أشد حاجة إلى علماء يأخذون بزمام الأمر ، والاهتمام بالقضية بصورة مدروسة ، ومبناها على أسس شرعية وعلمية صحيحة ، والا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»))([1]) .

قال الأفوه الأودي :-

لايصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سـراة إذا جهالـهم سادوا

كالبيت لا يبتنى ألا له عمـــدٌ

ولا عمـود إذا لم تُرسى أوتـادُ

فأن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمـــــدة

وساكـن بلغوا الأمر الذي كادوا([2])

ويجب أن يكون أهل الشورى أبعد الناس عن المخالفة لما يقولون ، لأنه سيسبب في سقوط هيبة أهل الحل والعقد فلا يُسمع منها شيئاً ، ولا يحابون لأي مسؤول مهما علت مرتبته فتصبح هذه المجموعة تعمل بما يخالف قولها وبما جاءت لأجله . { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

[1] – صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير ناصر ، (ط1، دار طوق النجاة ، 1422هـ) ، ج1، ص32، كتاب العلم ، النسائي ، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي ، حققه محمد ناصر الدين الألباني ، (مكتبة المعارف ، الرياض) ، ص29 ، والحديث صحيح .

[2] – نهاية الأرب ، ج3 ، 64 ، التمثيل والمحاضرة ، ص51 ، الشعر والشعراء ، ص223 .

آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (*) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: 2، 3] .

قال ابن الأخوة([1]) : (أَوَّل مَا يَجِب عَلَى الْمُحْتَسِب أَنْ يَعْمَل بِمَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ مُخَالِفًا لِفِعْلِهِ فَقَدْ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَمِّ بَنِي إِسْرَائِيل : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ } [البقرة/44]، وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : { رَأَيْت لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِالْمَقَارِيضِ فَقُلْت : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : خُطَبَاءُ أُمَّتِك الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ }([2]) .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَهَى قَوْمَهُ عَنْ بَخْسِ الْمَوَازِينِ ، وَنَقْصِ الْمَكَايِيلِ { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } [هود: 88] ، وَلَا يَكُونُ كَمَا قِيلَ شِعْرٌ :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ .....عَارٌ عَلَيْك إذَا فَعَلْت عَظِيمُ) .

ولنا عبرة في قصة طالوت فقد قصَّ القرآن ذكره لما فيها عظة للمسلمين وتبيانا لمنهج الأنبياء والصادقين قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وَما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (*) وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (*) وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }[سورة البقرة /246-247].

---

[1] – معالم القربة في طلب الحسبة ،ج 1 ، ص 8 .

[2] – مسند أحمد ،(ط الرسالة) ، ج20، ص223، برقم 12857وهو حديث صحيح .

قال ابن عجيبة([1]) : ((اصطفاه للملك، وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ فكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة ، وقيل: بالحروف وعلم السياسة. وزاده أيضاً بسطه في الْجِسْمِ)) .

وقال الشوكاني([2]) : ((وَقَوْلُهُ: اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ أي: اختاره اللَّهِ هُوَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ. ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ وَجْهَ الِاصْطِفَاءِ: بِأَنَّ اللَّهَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، الَّذِي هُوَ مَلَاكُ الْإِنْسَانِ، وَرَأْسُ الْفَضَائِلِ، وَأَعْظَمُ وُجُوهِ التَّرْجِيحِ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ الْأَثَرُ فِي الْحُرُوبِ وَنَحْوِهَا، فَكَانَ قَوِيًّا فِي دِينِهِ وَبَدَنِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُعْتَبَرُ)) .

قال ابن عاشور([3]): ((فَأَعْلَمَهُمْ نَبِيئُهُمْ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجَ إِلَيْهَا فِي سِيَاسَةِ أَمْرِ الْأُمَّةِ تَرْجِعُ إِلَى أَصَالَةِ الرَّأْيِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ لِأَنَّهُ بِالرَّأْيِ يَهْتَدِي لِمَصَالِحِ الْأُمَّةِ، لَا سِيَّمَا فِي وَقْتِ الْمَضَائِقِ)) .

قال أبو السعود([4]) : ((لمّا استبعدوا تملُّكه بسقوط نسَبِه وبفقره ردَّ عليهم ذلك أولا : مَلاكَ الأمرِ هو اصطفاءُ الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ،وثانياً : بأن العُمدة فيه وُفورُ العلم ليتمكَّنَ به من معرفة أمورِ السياسةِ وجسامةُ البدن ليعظُم خطرُه في القلوب ويقدِرَ على مقاومة الأعداءِ ومكابدةِ الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظَ وافرٍ وذلك قوله عز وجل)) .

قال القرطبي([5]) : ((اصْطِفَاءِ طَالُوتَ، وَهُوَ بَسْطَتُهُ فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مِلَاكُ الْإِنْسَانِ، وَالْجِسْمُ الَّذِي هُوَ مُعِينُهُ فِي الْحَرْبِ وَعُدَّتُهُ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَتَضَمَّنَتْ بَيَانَ صِفَةِ الْإِمَامِ وَأَحْوَالِ الْإِمَامَةِ، وَأَنَّهَا مُسْتَحَقَّةٌ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْقُوَّةِ لَا بِالنَّسَبِ، فَلَا حَظَّ لِلنَّسَبِ فِيهَا مَعَ الْعِلْمِ

---

[1] – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة ،أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت1224هـ) ، تحقيق أحمد عبد الله بن ارسلان ، (1419هـ ، القاهرة) ، ج1، ص274 .

[2] – فتح القدير للشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت1250هـ)،(دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، 1414هـ) ، ج1، ص303 .

[3] – التحرير والتنوير ، ج2، ص491 .

[4] – تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،لأبي السعود العمادي ، محمد ابن محمد بن مصطفى (ت982هـ) ،(دار إحياء التراث العرابي ، بيروت) ، ج1، ص240 .

[5] – تفسير القرطبي ، ج3، ص246 .

وَفَضَائِلِ النَّفْسِ وَأَنَّهَا مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ اخْتَارَهُ عَلَيْهِمْ لِعِلْمِهِ وَقُوَّتِهِ، وَإِنْ كَانُوا أَشْرَفَ مُنْتَسَبًا)).

قال الرزاي([1]) : ((وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَتَقْرِيرُ/ هَذَا الْجَوَابِ أَنَّهُمْ طَعَنُوا فِي اسْتِحْقَاقِهِ لِلْمُلْكِ بِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُلْكِ الثَّانِي: أَنَّهُ فَقِيرٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْمُلْكِ وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ حَصَلَ لَهُ وَصْفَانِ أَحَدُهُمَا: الْعِلْمُ وَالثَّانِي: الْقُدْرَةُ، وَهَذَانِ الْوَصْفَانِ أَشَدُّ مُنَاسَبَةً لِاسْتِحْقَاقِهِ الْمُلْكَ مِنَ الْوَصْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَبَيَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ مِنْ باب الكمالات الحقيقة، وَالْمَالُ وَالْجَاهُ لَيْسَا كَذَلِكَ وَالثَّانِي: أَنَّ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ مِنَ الْكِمَالَاتِ الْحَاصِلَةِ لِجَوْهَرِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَالْمَالُ وَالْجَاهُ أَمْرَانِ مُنْفَصِلَانِ عَنْ ذَاتِ الْإِنْسَانِ الثَّالِثُ: أَنَّ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ لَا يُمْكِنُ سَلْبُهُمَا عَنِ الْإِنْسَانِ، وَالْمَالُ وَالْجَاهُ يُمْكِنُ سَلْبُهُمَا عَنِ الْإِنْسَانِ وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْعِلْمَ بِأَمْرِ الْحُرُوبِ، وَالْقَوِيَّ الشَّدِيدَ عَلَى الْمُحَارَبَةِ يَكُونُ الِانْتِفَاعُ بِهِ فِي حِفْظِ مَصْلَحَةِ الْبَلَدِ، وَفِي دَفْعِ شَرِّ الْأَعْدَاءِ أَتَمَّ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِالرَّجُلِ النَّسِيبِ الْغَنِيِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِضَبْطِ الْمَصَالِحِ، وَقُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِ الْأَعْدَاءِ، فَثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ إِسْنَادَ الْمُلْكِ إِلَى الْعَالِمِ الْقَادِرِ، أَوْلَى مِنْ إسناده إلى النسيب الغني)) .

قال الصابوني([2]) : { قَالَ إِنَّ الله اصطفاه عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العلم والجسم } أي أجابهم نبيّهم على ذلك الاعتراض فقال: إنّ الله اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم، والعمدة في الاختيار أمران: العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة، والأمر الثاني قوة البدن ليعظم خطره في القلوب، ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الشدائد، وقد خصّه الله تعالى منهما بحظ وافر، قال ابن كثير: ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوّةٍ شديدة في بدنه ونفسه، { والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ } أي يعطي الملك لمن شاء من عباده من غير إرثٍ أو مال { والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ } أي واسع الفضل عليمٌ بمن هو أهلٌ له فيعطيه إياه.

---

[1] – تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج6، ص 504–505 .

[2] – صفوة التفاسير ، الصابوني ، محمد بن علي ، (دار الصابوني ، القاهرة ، (1417هـ/1997م) ، ج1، ص142 .

وقصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام معروفة عندما قال الخضر لموسى عليه السلام :(هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ)([1]) ، كلاهما له علم ينتفع منه الآخر ، ليعلمنا الله عزوجل الاختصاص لكل شخص بعلمه ، فيقدم بتلك اللحظة لمن له علم ينفع به الأمة وإن كان موجود لمن هو أفضل منه ، فتقديمة محدود لا على كل أمرٍ .

نفهم من الآيات وتفسير أهل العلم بأنَّ العلم هو مصدر من مصادر القيادة ، واختيار النخبة التي تتصف بالعلم تستطيع إدارة أمور الناس ، والخطر العظيم تضييع الأمة بيد أهل الجهل الذي يؤدي بجهله سقوطها بيد أعدائها .

ثانيـاً : الكبر في السن

وهـذا الأمر في غاية الأهمية لان الإنسان كلما تقدم في العمر تكون أرائه قريبة من الصواب ، وتكون أدق في حالة أكتسابها العلم ، لأنها تكون خالية من العواطف والغضب التي تكون عند الشباب ، ويرجح العقل المختمر بالخبرة والهدوء ليعطي القرار الصحيح ، وقد ذكر القرآن هذا الأمر بقوله تعالى : {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} [الأحقاف: 15] .

قال أبن كثير([2]) : (أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ، ويقال : انه لا يتغير غالباً عما يكون عليه بعد ابن الأربعين) .

والسُنة ركزت على هذا الأمر فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين))([3]) ، لأن في هذا العمر فما فوق – كمال

---

[1] – صحيح البخاري ، ج1 ، ص 36.

[2] – تفسير القران العظيم (طبعة الشعب ، مصر) ، ج7 ، ص263 .

[3] – البخاري ، الصحيح ، برقم (3851) .

النضوج الفكري وقمة الحكمة عند الأنسان – ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((ليليني منكم أولوا الأحلام والنُهى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم))([1]) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا))([2]) ، وفي رواية ((ويعرف شرف كبيرنا))([3]).

ونرى اثناء طلب العلم عندما يؤخذ العلم عن كبير السن ليس كالشاب ، فهو يُعطي العلم حقه ، ومكانته ، والدرس له نكهة خاصة عندما يصدر من عالم كبير جليل ويبدو عليه الوقار من كل جانب ، وترسيخه عند المتلقي أكثر واعمق .

قال ابن حجر([4]) :[ان العلم إنما يؤخذ عن الأكابر ، وروى عن أبي أمية الجمحي: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أشراط الساعة ان يلتمس العلم عند الأصاغر].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (انكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في ذوي أسنانكم ، فإذا كان العلم في الشباب ، أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب)([5]) .

---

[1] – أحمد ، المسند ، ج4 ، ص122 . برقم (17143)، أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة /باب تسوية الصفوف (432) عن ابن مسعود. سنن ابن ماجه ، ج 1 ، ص 55، برقم 154 بسند صحيح ، روى الترمذي في سننه ، ج 1 ، ص 440:عن علقمة عن عبد الله : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ليليني منكم أولوا الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم و لا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق [قال] وفي الباب عن أبي بن كعب و أبي مسعود و أبي سعيد و البراء و أنس قال أبو عيسى حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يعجبه أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه .

[2] – مسند أحمد ،ج37ن ص416 ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ورواه في مكارم الأخلاق الطبراني ، ص 367 برقم 147 ، واورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،ج1، ص 127:– عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: " «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ» ".وقال : رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. ومن حديث أبي امامة في المعجم الكبير للطبراني ،ج8، ص167، برقم 7703 ، والحديث عن عبادة في صحيح الجامع الصغير ، للشيخ الالباني ، ج2 ، ص957 .

[3] – في سنن الترمذي (ت شاكر) ، ج4، ص322 :عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا» وهو حديث صحيح .

[4] – فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، ج1 ، ص143 .

[5] – كتاب العلم لأبي خيثمة ، ص35 .

قال المرادي([1]) : ((تقديم الحكمة قبل سوء العوائد ، فأن الكهول والأشياخ ربما علموا بتجاربهم ما لم يعلمه الأحداث ، فكان الأحداث أحوج منهم إلى حفظ الحكمة ، وتقديم الموعظة ولأن الأحداث أطوع منهم لسلطان الشهوة الذي هو في غالب الأمر متضمن لسوء العادة".

قال علي رضي الله عنه :– رأي الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام))([2]).

ثالثاً : الخبرة

أهتم القرآن بمسألة الخبرة ، ومن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في التطبيق العملي في شتى المجالات الدنيوية والأخروية ، قال تعالى { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا } [الحديد/10].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من حوله كبار الصحابة من أهل المشورة والخبرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد بن أبي وقاص وغيرهم رضوان الله عليهم من أهل المشورة الذين لهم الخبرة بالأمور بتلك الشؤون .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ([3]) .

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَمَنْ

---

[1] – الإشارة إلى أدب الأمارة ، ص29 .

[2] – البيهقي ، السنن الكبرى ، 10 ، ص113 .

[3] – مسند أحمد ، ج3، ص281 ، برقم (14022) ، سنن الترمذى ،ج 12 ،ص 263، برقم (3724) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَنِي لَهُ خَازِنًا وَقَاسِمًا))([1])

والنبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ لليهود في فتح خيبر على أراضيهم لأنهم أصحاب خبرة في أصلاح الأرض ، وحادثة تأبير النخل وقوله صلى الله عليه وسلم :((أنتم أعلم بأمور دنياكم))([2])، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمور المتعلقة بالحياة الدنيوية ومصالحها ؛ مثل الحروب والزرع والطب وغيرها حسب اختصاص وخبرة كل صحابي بذلك المجال .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((ما رأيت من الناس أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم))([3]) .

---

[1] – السنن الكبرى للبيهقي ، ج6، ص346.

[2] – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ كِلاَهُمَا عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ – قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ – حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ « لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ ». قَالَ فَخَرَجَ شِيصًا فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ « مَا لِنَخْلِكُمْ ». قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ « أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ ». مسلم ، الجامع الصحيح ، (طبعة دار الجيل / دار الآفاق ، بيروت) ، ج7 ، ص 95 ، برقم 6277. قال العجلوني : (استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها) قال في الأصل : قد يستأنس له بقوله صلى الله عليه وسلم ما كان من أمر دنياكم فإليكم ، وقال في التمييز ويشهد له ما ثبت في سنن أبي داود عن سعد قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤود ، فأت الحرث ابن كلدة من ثقيف فإنه رجل يطبب – الحديث . كشف الخفاء ، ص 122.

[3] – الترمذي ، السنن ، ج3 ، ص129 ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ج7 ، ص45 . قال الشيخ علي ابن نايف الشاحوذ : (تعتمد هذه الشبهة على الاستدلال الخاطئ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" إذ قد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن المسلمين هم أعلم بأمور دنياهم، وبالتالي فإن الشريعة لا تتدخل في تحديد الأمور الدنيوية التي هم بها عالمون، ولما كان النظام السياسي –عند هؤلاء أمراً دنيوياً وليس أمراً دينياً– فإنه يمتنع أن تتدخل الشريعة في تحديده أو المجيء بتفصيل أحكامه !!

ولكي نبين ما في هذه الشبهة من التلبيس والضلال نقول:

أما الحديث فصحيح قد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ولفظه عن طلحة رضي الله عنه قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رءوس النخل فقال: "ما يصنع هؤلاء؟" فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أظن يغني ذلك شيئاً" قال: فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله=

=صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل".

وفي رواية عن رافع بن خديج قال: قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم يأبِرون النخل، يقولون يُلقِّحون النخل، فقال: "ما تصنعون" ؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً" فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر".

وفي رواية عن أنس وعائشة رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون، فقال: "لو لم تفعلوا لصلُح" قال: فخرج شيصاً، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم".

فالعلمانيون ومن تبعهم أو تابعهم –وإن كان لكل منهم باعث مختلف عن الآخر– يريدون التوصل من خلال الفهم المحرف لهذا الحديث، إلى أن كل ما جاء في النصوص الشرعية متعلقاً بأمر من أمور الدنيا على جهة الأمر أو النهي أو غير ذلك، فإن تلك النصوص تصبح كأن لم تكن، وتدار أو يتم التعامل مع تلك الأمور الدنيوية من قبل الرأي البشري القائم على المصلحة أو التجربة على أساس أنها مسألة دنيوية ، لا دخل للشرع فيها. وهم بعد تقريرهم لتلك القاعدة الفاسدة، إذا أعياهم تأويل أو تحريف أي نص يتعلق بمسألة لهم فيها رأي مناقض للشرع ، إذا أعياهم ذلك، قالوا: هذه من مسائل الدنيا وأمورها، وبالتالي فنحن أحق بها، ولا دخل للشريعة فيها! ومن تلك المسائل التي تعاملوا معها بتلك القاعدة الفاسدة : النظام السياسي فإنهم يقولون: هو من مسائل الدنيا التي نحن أعلم بها، وأحق بإبداء الرأي فيها. والرد على هذه الشبهة من أربعة وجوه :

الوجه الأول : أن يقال: إن ما ذكرتموه لم يقله أحد من أهل العلم، بل هو مخالف لأقوالهم وما كان هذا سبيله فهو مردود على صاحبه، مرفوض غير مقبول، فقد بوب النووي على ذلك الحديث بقوله :"باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي وقال أيضاً في شرح هذه الأحاديث: "قال العلماء: قوله صلى الله عليه وسلم "من رأي" أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على سبيل التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورآه شرعاً يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله... قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبراً، وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه صلى الله عليه وسلم في أمور المعايش وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص في ذلك، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها والله أعلم ". فمما تقدم نقله عن أهل العلم يتبين أن مجال هذا الحديث إنما هو في "أمر الدنيا ومعايشها" ولم يذكر العلماء تلك العبارة مطلقة ، بل قيدوها بما يبطل كل محاولات التأويل الباطل لهذا الحديث ، فقد قيد العلماء "أمر الدنيا ومعايشها" بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله "على سبيل الرأي" أي أنه قاله "لا على سبيل التشريع" وهذا التقييد يعني أمرين:

الأول : أن الأمور التي يقال فيها : "أنتم أعلم بأمور دنياكم" هي تلك الأمور التي لم تتناولها الأدلة الشرعية تناولاً عاماً أو تناولاً خاصاً، أو الأمور التي تناولتها السنة لا على سبيل التشريع وإنما على سبيل الرأي فقط.

الثاني : أن الأصل في كل ما تناولته النصوص الشرعية –ولو كان متعلقاً بأمر الدنيا أو المعاش أو غيره– أن يكون على سبيل التشريع إلا أن يدل الدليل أو القرينة على خلاف ذلك ويؤيد هذا الكلام أيضاً أمران: =

قال ابن هشام([1]) : ((لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهري ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا له : يا رسول الله أمرا نحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم

=أ- تصرف الصحابة في القصة المذكورة حيث امتنعوا من تأبير النخل -رغم خبرتهم السابقة عن أهمية ذلك التلقيح علاوة على أنه أمر أمور المعايش الدنيوية- وذلك لما لم يظهر لهم دليل أو قرينة تبين لهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ما قال على غير سبيل التشريع، وهذا يعني أنهم رضي الله عنهم يتعاملون مع أقواله صلى الله عليه وسلم -ولو كانت في أمور المعايش- على أنها على سبيل التشريع حتى يأتي من الدليل الشرعي ما يبين أنها على غير سبيل التشريع.

ب- طريقة صياغة العلماء للعبارات السابقة، فإنها واضحة كل الوضوح في أن الأصل في كل ما جاء في النصوص الشرعية إنما يتم التعامل معه على أنه جاء على سبيل التشريع، ولذلك احتاج هؤلاء العلماء أن يقيدوا الأمور التي لا يجب على المسلمين امتثالها من معايش الدنيا، بأنها التي جاءت "على سبيل الرأي" أو "لا على سبيل التشريع" وهذا يعني أن النصوص التي جاءت في معايش الدنيا أو غيرها ولم تظهر قرينة أو دليل يبين أنها جاءت على سبيل الرأي أو لا على سبيل التشريع فإنه يتم التعامل معها على أنها نصوص تشريعية يجب امتثالها.

الوجه الثاني : أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر الكلام في عدم تأبير النخل مطلقاً من كل قيد، حتى يقال: إن ما تناولته النصوص الشرعية مطلقاً من القيود وهو من أمور الدنيا فإن الشرع يترك -في هذه الحالة- ويرجع في تلك الأمور الدنيوية إلى أهل الدنيا. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ، ج 3 ، ص 235- 236.

[1] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 2 ، ص 223.

أموالنا والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك ،فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال ليجهدوا علينا)) .

واستشار وزرائه رضي الله عنهما في أسارى بدر ، فأشار عليه الصديق بالفداء ، وأشار عمر بالقتل([1]) ، وشاور صلى الله عليه وسلم علياً وأسامة رضي الله عنهما في قصة الأفك ، فقال أسامة : أهلك يا رسول الله ولا نعلم ألا خيراً([2]) ، لأنهم أعلم من غيرهم في أهل بيته فتوجه السؤال إليهما ، وسؤاله صلى الله عليه وسلم في أمور تخص النساء للنساء لمعرفتهن بذلك الشأن وخبرتهن به أكثر من الرجال .

وفي جانب اخر منع النبي صلى اله عليه وسلم من صحابته التقدم في ميدان ليس هم أهلا لذلك الأمر : (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ")([3]) .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»([4]).

وهؤلاء من صحابته أراد ان يجنبهم المهلكة للأسباب الذي يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم من خطورة المسؤولية وعدم قدرتهم لتحمل هذه المسؤولية فيقع عليه الهلاك ، والإضرار بالأمة .

---

[1] – أحمد ، المسند ، ج1 ، ص30–31 ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ج10 ، ص109 .

[2] – البخاري ، ج 9، ص139 ، مسلم ، ج8 ، ص115 .

[3] – مسند أحمد ط الرسالة ، ج34، ص 230.

[4] – صحيح مسلم ، ج3، ص1457.

قال علاء الدين البخاري([1]) : [وقد ثبت أنه حجة في أحكام الشرع دون مصالح قاطعة؛ لأن كل واحد منهم اعتمد ما لا يوجب العلم لكن هذا خلاف الكتاب والسنة والدليل المعقول الدنيا فكذلك الإجماع، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في قصة التلقيح "أنتم أعلم بأمور دنياكم" وكان إذا رأى رأيا في الحرب راجعه الصحابة في ذلك ، *وربما كان يترك رأيه برأيهم ، ولم يكن أحد يراجعه فيما كان من أمر الدين* . وذكر في الميزان أن على قول من جعل الإجماع حجة فيه هل يجب العمل به في العصر الثاني كما في الإجماع في أمور الدين فإن لم يتغير الحال يجب وإن تغير لا يجب ويجوز المخالفة؛ لأن أمور الدنيا مبنية على المصالح العاجلة وذلك يحتمل الزوال ساعة فساعة والحاصل أن الإجماع حجة مقطوع بها عند عامة المسلمين ومن أهل الأهواء من لم يجعله حجة] .

وكان خليفته الصديق رضي الله عنه على نهجه ؛ أذا نزل به أمر يريد به شاور من ذوي الرأي والفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فمضى ، أبو بكر رضي الله عنه على ذلك ، ثم ولي عمر رضي الله عنه وكان يدعو هؤلاء النفر([2]) .

وروى البخاري([3]) : ((أن القراء كانوا أصحاب مشورة عمر رضي الله عنه)) .

ونرى نجاح الفتوحات الإسلامية يتوجها النصر بسبب القادة الذين كانوا يديرون المعركة من أهل الخبرة بالشؤون العسكرية كأبي عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبي وقاص ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم .

---

[1] – عبد العزيز بن أحمد ، علاء الدين البخاري ، (ت730هـ) ، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، تحقيق عبد الله محمود محمد ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1997م) ، ج 3 ، ص 372–373.

[2] – القلعي ، تهذيب الرياسة ، ص181 .

[3] – الصحيح ، ج9 ، ص139 .

والتنوع في الخبرات مما تحتاجها الأمة ليس من منظور واحد أو جانب واحد أو طيف واحد ، بل تحتاج و(تضطر الأمة الواعية إلى مبدأ التفرغ مع التنوع والتكامل حتى تسد كل الثغرات التي تحتاجها ولا يقع تركيز على جانب فيتضخم بينما تهمل جوانب الأخرى)([1]) .

فالاستعانة بأهل الخبرة في الأمر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم دليل على نجاح الأمر والخروج بحصيلة صحيحة مباركة ، فخبرة أهل السياسة بإدارة البلد يستقيم الأمر ويتحقق الهدف ، وخبرة أهل الاقتصاد للحفاظ على أموال الناس وهكذا في كل مفصل من مفاصل الحياة لئلا تهدر الجهود وتضييع الأمور.

وبعد احتلال بغداد الحبيبة وجاء من جاء معه من الاحزاب الدينية والغير دينية كنت أسألهم : لماذا تأتون بأناس إلى دوائركم ، أو احزابكم ، أو منظماتكم ، أو هيئاتكم من لا يستحق ، أو من ليس معه خبرة ؟

فكان الجواب لكثير منهم : نحن نأتي بأخوتنا وأهلنا ، ومن حزبنا لأنهم يحموننا ، فأقول لهم : ولكن هؤلاء فيهم الفاسد ، أو عديم الخبرة ، أو النفعي فستكون كارثة عليكم بعد فترة ، فكان لا يعجبهم هذا الطرح علماً انهم أصحاب دين ومن المثقفين ، فعلمت بأن الكارثة تحل بنا ، وها نحن نعيش بمأساة كبيرة لتركنا منهج حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وينفذوا مخططات العدو فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال لقمان الحكيم : شاور من جرّب الأمور فأنه يعطيك من رأيه ما كان عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالمجّان ([2]) .

وقال حكيم آخر : إذا أنكرت عقلك فامزجه بآخر لعاقل ، وربما أحتاج السيف الصقيل إلى مسن الصاقل([3]) .

---

[1] – الصلابي ، علي محمد ، عصر الدولة الزنكية (مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، مصر 2007م) ، (مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، مصر 2007م) ، ص 240.

[2] – ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، (ت656هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار إحياء الكتب العربي ، عيسى البابي الحلبي) ، ج20 ، ص 41.

[3] – القلعي ، أبو عبد الله ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق إبراهيم يوسف ، مصطفى عجو ، (ط1 ، مكتبة المنار ، الأردن) ، ص 92.

وقال عبد الله بن الحسن : احذر مشورة الجاهل وأن كان ناصحاً ، كما تحذر غيلة العاقل إذا كان عدواً ، فيوشك ان تورطك مشورة الجاهل ويسبق إليك مكر العاقل([1]) .

فالخبرة في أي شأن من الشؤون التي فيها مصلحة العباد والبلاد لابد من توفرها في المجال الذي يريد تحقيقه والا فكيف ينجح بدون أشخاص ليس لهم قدم راسخة في الشأن الذي يتقدمه ، نرى نجاح المؤسسات الغربية في كل مجال وجانب من جوانب حياتهم ، لأن الكلام لصاحب الخبرة مع الشروط السابقة التي ذكرناها مع الأخذ بالشورى فيكون القرار الذي يُتخذ قراراً صائباً ويصل إلى المطلوب لما حددته أهداف ونتائج ، فهذا الأسلوب الذي يتبع كان له نجاحاً في مؤسساتهم المختلفة .

أما نحن فالقرآن والسنة بين أيدينا قد رسمت لنا الخطوات ، ونحن لا نرغب في تطبيقها في أفضل شيء ، وان كان الواجب تطبيقه في كل شأن من شؤون الأمة لأنه امر رباني لا يحتمل الخطأ .

فالمُشاهد يرتقي المرتقى الصعب من ليس له أهلاً بهذا المجال وهذا حادث امامنا ، فنرى هذا الذي ينّصب نفسه عالماً ، أو سياسياً ، أو اقتصادياً وغير ذلك فيخوض في مجال لا يعرف عنه شيئاً([2]) ، أو ربما يعرف القليل فيتشدق بالكلام ليصل إلى مآربه ، أو ليسد النقص الذي عنده .

أذن لا يدخل في هذا الأمر الإنسان النفعي ، لأنه وأن توفرت فيه بعض النقاط التي ذكرناها فإنه سيمضي وفقاً لمصلحته ونفعه ، والثاني الإنسان البسيط لا يدخل لأنه لا يفهم حقائق الأمور ، وربما يُسيّر بدون ما يعلم من أي جهة كانت.

---

[1] – القلعي ، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، ص 96 .

[2] – قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا : نِصْفٌ مُتَكَلِّمٌ وَنِصْفٌ مُتَفَقِّهٌ وَنِصْفٌ مُتَطَبِّبٌ وَنِصْفٌ نَحْوِيٌّ هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَبْدَانَ وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ) . مجموع الفتاوى ، ج 5 ، ص 119.

قال الإمام الجويني رحمه الله عن أهل الرأي والحكمة:(*لم يدخل في ذلك العوام ومن لا يُعد من أهل البصائر*)([1]) .

فبعد أن أحتلت بغداد ظهر أناس من الجهل والتسلط والنفعية بتنصيب أنفسهم على الناس وهذا ما كان عليه في النظام السابق ايضاً ، والعجيب من أهل الصلاح والذين يريدون لهذا المجتمع بالرفعة وانتشالهم من السقوط يُقدّمون مثل هؤلاء من الناس على الفضلاء ، لأنهم يتملقون إليهم ، ويقدمون الخدمات المجانية لهم ، أو لأن ألسنتهم مثل العسل ؛ ظاهرها نغمات تطرب الأسماع وفي داخلها أباطيل ورياء .

وبهذا التملق أُهمل أهل الخير والصلاح ، وأهل العلم والشأن وراء الظهور ؛ فكان لنا سقوطاً كبيراً مدعاة للسخرية والتخبط .

قال ابن خلدون([2]) : – (فتجد كثيراً من السوقة يسعى في التقريب من السلطان بجدّه ونصحه ويتزلف إليه بوجوه خدمته ، ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له ولحاشيته وأهل نسبه حتى يرسخ قدمه معهم ، وينظمه السلطان في جملته ، فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينتظم في عدد أهل الدولة) .

ثم قال رحمه الله: (ويُمْقَت صاحب العلم والخُلق ويميل السلطان إلى المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ، ولا يذهبون إلى دالة ولا ترفع ، إنما دأبهم الخضوع له والتملق والاعتماد في غرضه متى ذهب إليه فيتسع جاههم ، وتعلو منازلهم ، وتنصرف إليهم الوجوه والخواطر ... إلى ان تنقرض الدولة ، وهذا أمر طبيعي في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب) .

ان هذا التصرف لهو من أبشع الظلم لكونه تضييع لحق الأمة ، وهذا يعني الجرأة على الله بالشهادة لهم بالزور لقاء هذه الخدمات ، أو التملق ، أو المحاباة ، أو المجاملة لقريب ، أو صديق ، أو وجيه مما يقع الإضرار بالطرف الصحيح أو غير ذلك من الاغراض الفاسدة ليقتطع بها حق الغير ويضعها في غير حق ، والحط من قدرة كل أولئك الذين يشتركون بهذه

---

[1] – أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، (ت478هـ) ، غياث الأمم والتياث الظلم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مصطفى حلمي، (دار الدعوة ، الاسكندرية ، 1979م) ، ج 1 ، ص 50 .

[2] – المقدمة ، (طبعة دار الشعب) ، ص353–354 .

المظلمة ، والذين يقررون خلاف الواقع الصحيح لغرض نفعي أو منافسة غير شريفة ، أو حب في التطلع والجاه ما هو إلا إضرار بحق الذين اغتصبت مقاعدهم ، ومن ثم الإضرار بعباد الله تعالى من عامة الناس ، وتفويت مصالح الأمة([1]) .

أن اختيار النخبة الصحيحة لا بد من توفر مثل هذه الشروط ، إضافة إلى أمور ثانوية معتبره بعد هذه الشروط الرئيسية قد نبه عليها الشرع ، وهي :

- الرجوع إلى أصول الناس ومعادنهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً))([2]) .

قال ابن حجر([3]) : [أي أصولاً مختلفة ، والمعادن جمع معدن وهو الشيء المستقر في الأرض ، فتارة نفيساً وتارة خسيساً ، وكذلك الناس ، وأن المعدن إذا أستخرج ظهر ما أختفى منه ولا تتغير صفته ، فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس ، فأن أسلم أستمر شرفه ، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية ، واما قوله إذا فقهوا إشارة إلى الشرف الإسلامي] انتهى .

قال الشاعر :-

أن العروق أذا أستسرت في الثرى

أندى النبات بها وطاب المزرع

---

[1] – وهذه الخيانة العظمى لمن تقدَّم وهو لا يصلح ، أو قدّم فاشلاً أو غير ذلك من الأمور الذي قدّمه فهو بعمله هذا ضرر بالأمة ، وهذه امانة يجب عليه أن لا يحملها لمن لا يستطيع حملها قال النبي صلى الله عليه وسلم : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال ما خطبنا نبي الله صلى الله عليه و سلم إلا قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له . مسند أحمد بن حنبل ، ج 3 ، ص 135 . وهو حديث حسن .

[2] – البخاري ، الصحيح ، ج6 ، ص528 .

[3] – فتح الباري ، ج6 ، ص529 .

وإذا جهلت من أمري أعراقــه

وقديمه فأنظر إلى ما يصنــع([1])

وقال يحيى بن خالد لبنيه : إنكم لا بد لكم من عُمَّالٍ وكُتَّابٍ فاستعينوا بأشرافِ الناسِ ، وإياكم والسفلة فإن النعمة على الأشرافِ أزينُ ، والمعروفُ عندهم أثمنُ والشكرُ منهم أحسنُ([2]) .

وقال بعض الحكماء : لا تستكف إلا الكفاة النصحاء ، ولا تستبطنْ إلا الثقاتِ الأمناء ، وإذا استكفيتهم شغلاً أو وليتهم أمراً ، فأحسنْ الثقة بهمْ وأكدْ الحجة عليهم ، فإذا رأيت منهم غدراً وتبنت منهم عجزاً ، فاستبدل بهم واستوفِ مالَك عليهم ولا تقلدْ أحداً فمنْ عارضَ مع الاستقلالِ والأمانةِ قمع كفاتهِ وعماله ومن قلَّدَ مع العجزِ والخيانة ضيعَ أعمالهُ ومالَهُ([3]) .

فهذه مسألة مهمة في انتقاء الأشخاص وتقديمهم على غيرهم في التبين والتنقيب عن أصله وفصله وماذا كان ؟ ومن أي بيئة ؟ واتجاهاته ؟ .

قال المرادي([4]) :- [الناس على ضربين ، منهم معروف الأصل والأبوة والمنشأ والمرؤة ، ومنهم طارِ غير معروف الأصل ، ولا مشهود له ببلد ، ولا أهل.

فالأول يحكم له منصبه وأبوته اذا لم يُعرف بتغيير مروءته حتى تظهر منه نقص أو فضل فيخرج بهما عن حكم الأصل .

والطارئ ينظر أولاً إلى الطبقة التي يألفها والمنازل التي يسكنها ، والحرفة التي يتحرفها وينظر إلى علومه وأدبه وأحواله فتحمله على مروءة حتى تظهر منه أبناء جنسه حتى يدل على خلافها بفعله] .

---

[1] – البصائر والذخائر ، ج1 ، ص311 .

[2] – تهذيب الرياسة وترتيب ، القلعي ، ص140 .

[3] – كتاب الأمثال ، الثعالبي ، ص65 ، لباب الآداب ، ص63 .

[4] – الاشارة إلى أدب الأمارة ، ص161 .

فالأصل مهم في اختيار النخبة ، وثبوتها في السيرة ايضا ، يأتي من سؤال هرقل عظيم الروم عند استلامه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوه ، فسأل تجار قريش وعلى رأسهم أبي سفيان رضي الله عنه – وكان مشركاً آنذاك – فقال : (كان أول ما سألني عنه أنه قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، فأجاب هرقل : كذلك الرسل تبعث في نسب قومها)([1]).

فالنسب لصاحب الدعوة له أهمية كبيرة في قبول دعوته ، فلمعرفة هرقل أن الرسل لا ترسل إلا ذو نسب في قومها عرف أنه النبي المبعوث وإنه لإقرار من قِبَله بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

فالأولى عند اختيارنا لأهل النخبة يكون لهم أصولا طيبة مباركة ، معروفة ، لها تأثير في المجتمع .

- وأمر آخر ومهم وهو العدالة والخُلق .

قال الماوردي([2]) :– ((الْعَدَالَةُ وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ وَالْعَدَالَةُ : أَنْ يَكُونَ صَادِقَ اللَّهْجَةِ ظَاهِرَ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفًا عَنْ الْمَحَارِمِ مُتَوَقِّيًا الْمَآثِمَ ، بَعِيدًا مِنْ الرَّيْبِ ، مَأْمُونًا فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، مُسْتَعْمِلًا لِمُرُوءَةِ مِثْلِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَإِذَا تَكَامَلَتْ فِيهِ فَهِيَ الْعَدَالَةُ الَّتِي تَجُوزُ بِهَا شَهَادَتُهُ وَتَصِحُّ مَعَهَا وِلَايَتُهُ ، وَإِنْ انْخَرَمَ مِنْهَا وَصْفٌ مُنِعَ مِنْ الشَّهَادَةِ وَالْوِلَايَةِ فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ قَوْلٌ وَلَمْ يَنْفُذْ لَهُ حُكْمٌ)) .

قال تعالى : { وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} [الطلاق/2] ، وقال تعالى :{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } [النحل/90]، وقال تعالى :{ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [سورة النحل ، الآية 76] ، وقال تعالى : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام/152] .

---

[1] – البخاري ، الصحيح ، ج1 ، ص31 .

[2] – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي المعروف بالماوردي ، (ت450هـ)، الأحكام السلطانية ، ص73 .

فالعدالة مطلوبة ومهمة لأن العدل أساس الحكم ، فأذا رفع أهل الزيغ وأهل التسلط والنفعية ، فهل يدلي بالعدالة والحق ؟.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :- ((أن خياركم احاسنكم أخلاقاً))([1]) .

فالعدالة والخُلق كلاً منهما مطلوب لأصحاب النخبة لقيادة الناس والا يكون مصيره الفشل ، فهذا سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم معروف قبل نبوته بالصادق الأمين وبرفعة أخلاقه ، فكان موضع ثقة عند الجميع العدو قبل الصديق ، وخير دليل على ذلك حادثة الحجر الأسود ووضعه في مكانه كان متفق عليه من قبل الجميع لكونه معروفاً بهذه الصفات الحميدة ، وهذا مما جعله مؤهلاً للقيادة في المستقبل .

فعن عبد الله العمري قال : قال رجلٌ لعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه إنَّ فلاناً رجلُ صدقٍ ،فقال له عُمر :هل سافرت معه ؟ قال : لا ، قال فهل كان بينك وبينه معاملة ؟ قال : لا ، قال : فهل ائتمنته على شيءٍ ؟ قال : لا ، قال : فأنت الذي لا علم لك به ، أراك رأيته يَرفع رأسه ويخفضه في المسجد([2]) .

قال الشيخ عطية محمد سالم([3]) : لأن هذه هي الحالات التي تكون فيها المخالطة عن قرب، وتكون فيها مشاحة النفس؛ لأن الحياة بين الأرحام يحصل فيها شدة ويحصل فيها ضيق، ويحصل فيها غضب، ويحصل فيها رضا، كما هي شؤون حياة البشر، فتعرف حقيقة الإنسان عندها، ويعرف إن كان شحيح النفس أو واسع الصدر. وكذلك المعاملة بالدرهم والدينار، يعرف عندها الإنسان هل هو يحرص على تحصيله من أي سبيل أو أنه يتعفف ويتورع عن الذي فيه شبهة؟! وكذلك السفر يعرف عنده الإنسان هل هو يحافظ على الصلاة في السفر؟ وهل يؤدي الأمانة في السفر؟ وهل يساعد رفيقه في مشاق السفر؟.

---

[1] – البخاري ، الصحيح ، ج8 ، ص16 ، مسلم ، ج7، ص79 ، أحمد ، ج2 ، ص161 ، 193 .

[2] – المجالسة وجواهر العلم ، الدينوري ، ج 1 ، ص 155، برقم 708 . وفي المقاصد الحسنة للسخاوي ، ص 389: حديث (السفر يسفر عن أخلاق الرجال) كلام صحيح وفي خامس المجالسة للدينوري من طريق الأصمعي عن عبد الله العمري قال : قال رجل لعمر بن الخطاب إن فلانا رجل صدق فقال له هل سافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه معاملة قال فهل ائتمنته على شيء قال لا قال فأنت الذي لا علم لك به أراك رأيته يرفع رأسه يخفضه في المسجد انتهى ولا يعارضه (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان).

[3] – شرح بلوغ المرام ، ، ج 4 ، ص176.

عن يزيد بن نعامة الضبي قال : قال رسول الله (إذا أحب الرجل الرجل فليسأل عن اسمه واسم أبيه وممن هو فإنه أوصل للمودة)([1]).

وفي الأثر :(انظروا من تجالسون وعن من تأخذون دينكم فإن الشياطين يتصورون في آخر الزمان في صورة الرجال فيقولون حدثنا وأخبرنا فإذا جلستم إلى رجل فسألوه عن اسمه واسم أبيه وعشيرته فتفقدونه إذا غاب)([2]).

فالإخلاص هو أول الأخلاق قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: 5].

قال الرازي([3]) : الإخلاص عبارة عن النية الخالصة ، والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة ، فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منوباً .

قال ابن الأخوة([4]) : (وَيَجِبُ عَلَى الْمُحْتَسِب أَنْ يَقْصِد بِقَوْلِهِ ، وَفِعْله وَجْه اللَّهِ تَعَالَى وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ خَالِصَ النِّيَّةِ لَا يَشُوبُهُ فِي طَوِيَّتِهِ رِئَاءٌ ، وَلَا مِرَاءٌ ، وَيَتَجَنَّبَ فِي رِئَاسَتِهِ مُنَاقَشَةَ الْخَلْقِ ، وَمُفَاخَرَةَ أَبْنَاءِ الْجِنْسِ لِيَنْشُرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِدَاءَ الْقَبُولِ ، وَعِلْمَ التَّوْفِيقِ ، وَيَقْذِفَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ مَهَابَةً ، وَجَلَالَةً ، وَمُبَادَرَةً إلَى قَوْلِهِ بِالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ فَقَدْ قَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ شَرَّهُمْ ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَكَلَهُ

---

[1] – مصنف ابن أبي شيبة ، ج 9 ، ص 106، برقم 27175، سنن الترمذي ،سنن الترمذي –تحقيق شاكر ، ج 4 ، ص 599، برقم 2392 : قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَا نَعْرِفُ لِيَزِيدَ بْنِ نَعَامَةَ سَمَاعًا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا وَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ. وفي ترتيب علل الترمذي الكبير ،ج 1 ، ص 123، سألت مُحمدًا عن هذا الحديث ؟ فقال : هو حديث مرسل كأنه لم يجعل يزيد بن نعامة من أصحاب رسول الله . واورد الطبراني ، المعجم الكبير ، ج 12 ، ص 321: عن سالم عن أبيه : قال : سأل النبي صلى الله عليه و سلم عن رجل فقال : (من يعرفه ؟) فقال رجل منهم : أنا قال : (اسمه ؟= =) قال : لا أدري قال : (ما اسم أبيه) قال : لا أدري قال : (فمنزله ؟) قال : لا أدري قال : (ليست هذه بمعرفة حتى تعرف اسمه واسم أبيه وقبيلته إن مرض عدته وإن مات اتبعت جنازته) .

[2] – جامع الأحاديث ، السيوطي ، ج 7 ، ص 85 ، برقم 5867 : وقال : (الحاكم في تاريخه ، والديلمي عن ابن مسعود) ، أخرجه الديلمي ،ج1، ص107 ، رقم 358.

[3] – تفسير الرازي ، ج 17، ص 141.

[4] – معالم القربة في طلب الحسبة ، ج 1 ، ص 9–10.

إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ}([1]) .

فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ أَتَابِكَ سُلْطَانَ دِمَشْقَ طَلَبَ مُحْتَسِبًا فَذُكِرَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَلَمَّا نَظَرَهُ قَالَ : إِنِّي وَلَّيْتُك أَمْرَ الْحِسْبَةِ عَلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ : إنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَقُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّرَّاحَةِ ، وَارْفَعْ هَذَا الْمَسْنَدِ فَإِنَّهُمَا حَرِيرٌ ، وَاخْلَعْ هَذَا الْخَاتَمَ فَإِنَّهُ ذَهَبٌ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { : هَذَانِ حَرَامَانِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهَا }([2]) قَالَ فَنَهَضَ السُّلْطَانُ عَنْ طَرَّاحَتِهِ ، وَأَمَرَ بِرَفْعِ الْمَسْنَدِ ، وَخَلَعَ الْخَاتَمَ مِنْ أُصْبُعِهِ ، وَقَالَ ضَمَمْت إلَيْك النَّظَرَ فِي أُمُورِ الشُّرْطَةِ فَمَا رَأَى النَّاسُ مُحْتَسِبًا أَهْيَبَ مِنْهُ ، قُلْت وَهَذَا لَمَّا قَلَّدَ الْمُحْتَسِبَ ، وَوَجَدَ الْمَحَلَّ قَابِلًا لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ ، وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :{ أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ }([3]) ، وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَلَوْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَالِهِ أَوْمَكْرُوهًا يُصِيبُهُ سَقَطَ عَنْهُ ذَلِكَ).

---

[1] – الأربعون الودعانية الموضوعة ، لابن ودعان الموصلي ، ص 17، والحديث له روايات متعددة بغير هذا اللفظ منها حديث في سنن الترمذي ، ت شاكر ، ج4،ص 609:كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ» وفي صحيح ابن حبان ،تحقيق شعيب الارنؤوط ، ج1، ص510:عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه الناس . وهو حديث حسن .

[2] – مسند أبي داود الطيالسي ، ج4، ص13:عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَمَعَهُ حَرِيرٌ وَذَهَبٌ فَقَالَ: «هَذَانِ مُحَرَّمَانِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي حَلَالٌ لِإِنَاثِهِمْ» ورواه أحمد في مسنده ، ط الرسالة ،ج2، ص146:عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زُرَيْرٍ الْغَافِقِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبًا بِيَمِينِهِ، وَحَرِيرًا بِشِمَالِهِ، ثُمَّ رَفَعَ بِهِمَا يَدَيْهِ فَقَالَ: " هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وهو حديث حسن .

[3] – مسند أحمد ، ط الرسالة ،ج17، ص228:أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ "وهو حديث صحيح .

والصدق مع الإخلاص متلازمان قال صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن المؤمن يكذب ؟ قال : لا([1]) .

المعلوم بناء أي مشروع لا يعني نجاحه بوقت قصير ، وإنما الاهتمام ببناء جدرانه ليصل إلى المقصود والنجاح ، والسيرة النبوية أثبتت لنا ذلك نرى من الصحابة من لم ير نور الإسلام يظهر وينتصر مثل سمية وزوجها ياسر رضي الله عنهما ، ثم جاء من بعدهم أنتصر الإسلام وأصبحت دولة ، ونرى جهود صلاح الدين الأيوبي قد طال به الزمن لينتصر بعد بناء طويل للمجتمع وغرسه على أسس إيمانية قوية ورصينة.

واليوم يبني مؤسسة فاشلة على غير أسس الشريعة والخطوات الصحيحة ، فهي غير متماسكة ، وأسست على بناء هش لا يصد ولا يرد ، فأي ريح تمر به يهوي ويسقط تماماً ، قال تعالى : { أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (*) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (*) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة/109-111] .

قال ابن عجيبة الحسني([2]) : (وتأسيس البناء على التقوى هو تحسين النية فيه ، وقصد وجه الله ، وإظهار شرعه ، والتأسيس على شفا جرف هار هو فساد النية وقصد الرياء ،

---

[1] – قال السمعاني في تفسيره ، ج 3 ، ص 203: وفي بعض المسانيد عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد أنه قال : ' قلت يا رسول الله : المؤمن يزني ؟ قال : قد يكون ذلك ، فقلت : المؤمن يسرق ؟ قال : قد يكون ذلك ، فقلت المؤمن يكذب ؟ فقال : لا ، وقرأ قوله تعالى : (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) ' وعن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه قال :من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (106) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (107) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (108) لا جرم أنهم في الآخرة هم) : الكذب مجانب للإيمان .

[2] – أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الشاذلي الفاسي ، تفسير البحر المديد ، (ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1423هـ /2002م) ، ج3 ، ص165 .

والتفريق بين المؤمنين ، وذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البالغ. قاله ابن جزي : {والله لا يهدي القوم الظالمين} إلى ما فيه صلاح ونجاه).

(أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله تعالى ورسوله خيرٌ ، أم من أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهاها وأقلها بقاء وهو الباطل ، والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ؟ وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى ، لا جعل مجازاً عن ما ينافي التقوى . (فإن قلت) : فما معنى قوله : تعالى فانهار به في نار جهنم ؟ (قلت) : لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل : فانهار به على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم ، إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ، ولتصور أنّ الباطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ، ولا نرى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل . وكنه أمره والفاعل فانهار أي : البنيان أو الشفا أو الجرف به ، أي : المؤسس الباني ، أو أنهار الشفا أو الجرف به أي : بالبنيان . ويستلزم انهيار الشفا والبنيان ، ولا يستلزم انهيار أحدهما انهياره . والله لا يهدي القوم الظالمين ، إشارة إلى تعديهم ووضع الشيء في غير موضعه حيث بنوا مسجد الضرار ، إذ المساجد بيوت الله يجب أن يخلص فيها القصد والنية لوجه الله وعبادته ، فبنوه ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله)([1]) .

قال النسفي([2]) : (والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه ، خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى).

---

[1] – أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق عادل أحمد ، علي محمد ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ/2001م) ، ج5 ، ص104 .

[2] – أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، تفسير النسفي ، تحقيق مروان محمد الشعار ، (دار النفائس ، بيروت ، 2005م) ، ج 2، ص 127.

وأمورا يجب تجنبها أو الابتعاد عن العمل بها وهوعدم التكبر ، وعليك التواضع لأهل الإيمان والرحمة بهم ، وترك الغلظة .

والقرآن الكريم يؤكد للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمر بقوله تعالى { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران/159].

قال الرازي([1]) : (اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله ، فأما إذا أدى الى ذلك لم يجز ، قال تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عَلَيْهِمْ } [التوبة : 73] وقال للمؤمنين في إقامة حد الزنا : { وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله } [النور : 2] .

وهاهنا دقيقة أخرى : وهي أنه تعالى منعه من الغلظة في هذه الآية ، وأمره بالغلظة في قوله : { واغلظ عَلَيْهِمْ } فههنا نهاه عن الغلظة على المؤمنين ، وهناك أمره بالغلظة مع الكافرين ، فهو كقوله : { أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين } [المائدة : 54] وقوله : { أَشِدَّاء عَلَى الكفار رُحَمَاء بَيْنَهُمْ } [الفتح : 29] وتحقيق القول فيه أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان ، والفضيلة في الوسط ، فورود الأمر بالتغليظ تارة ، وأخرى بالنهي عنه ، إنما كان لأجل أن يتباعد عن الافراط والتفريط ، فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم ، فلهذا السر مدح الله الوسط فقال : { وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة : 143]) .

وهناك أمراض شديدة في القلب مثل الحقد ، والحسد ، وحب الثأر ، وحب الجاه فإنها تفتك بالمؤسسة ،أو المجتمع ، أو حب التسلط لمن استلم مسؤولية في الدولة .

ونحن نرى أعداء الإسلام ؛ بل ومن أهل الإسلام ومن يدعية يحاول اسقاط القدوة الصحيحة والمعتبر بين الناس ، والمعروف إنَّ اسقاط القدوة يعني اسقاط شعب ، أو جيل ، لأن القدوة يُنظر إليها ليحتذى بها ، فإن أُسقطت سقط المشروع معها ، ومع الأسف تكون هذه النظرة ممن يدعي العلم والدين فيساعد أعداء دين الله على تشويه الدين ، وربما تعاون

---

[1] – تفسيره ، ج4 ،ص 442–444 ، تفسير الآية 159 من سورة آل عمران .

مع أهل الكفر لينتصر لنفسه أو لجماعته لكون مخاصم لا يحبه ، أو من غير جماعته، أو لا يكون من منهجه ، وهذه من الطامات الكبرى .

إذن الاعتماد على اناس لهم رصيد من الخُلق والعدالة مع تاريخ ممن يشهد لهم ، لأن اتصاف الشخص بهذه الصفات يؤخذ بكلامه لأنه بعيد عن النفعية الشخصية ، والطموحات النفسية ،لأن قوة كلامه ومصداقيته اعتماده على الشرع الحنيف مما يؤدي إلى نفع للأمة.

قال عمر رضي الله عنه :- (أستشر في أمرك الذين يخشون الله)([1]) ، والذي يخشى الله يكون من أهل الخُلق والعدالة ورأيه مجرداً لله وحده ، فيكون أقرب للصواب من الخطأ.

قال تعالى : {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2].

قال الطبري([2]) : (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يحملنكم عداوة قوم أن تعتدوا).

فليس من العدل والخُلق أن يُشهِّر بمن ليس على اتجاهه ،أو لم يتوافق مع مصالحه وأهواءه ، فإذا كان الله سبحانه يُحرم التعدي بالكلام على الكفار ، وعدم إعطاءهم الحق بالكلمة ،فكيف بمن هو من أهل الإسلام يُكَّذب ويشّهر به زوراً وبهتاناً ،وبدون حق شرعي.

هناك أمر مهم يحاول أعداء هذا الدين بنشر فكرة وبثها بين الشباب ؛ وهي يجب على الشباب أن يأخذوا دورهم ، لانعدام دورهم في المجتمع ؟ ، وتطرّف آخر من زاوية أخرى أنه على الشباب [ليس لهم حق الكلمة] ! وآخر جعل الشاب له قيادة بدون فكر ودراية ، والأخير يستشهدون بفعل النبي صلى الله عليه وسلم بأسامة بن زيد رضي الله عنهما "فيجب أن تعطى له القيادة " –وخصوصا في الجهاد – ؟ ؛ وهكذا بفوضوية وعدم ذكر الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم لتقديمه رضي الله عنه ؟ ومن هو صاحب القيادة الصحيحة لجيش أسامة؟ ومن معه في الجيش؟ .

---

[1] – البيهقي ، السنن الكبرى ، ج10 ، ص112 .

[2] – أبو جعفر الطبري ، محمد بن جرير ، (ت310هـ) ، جامع البيان في تأويل القران ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1420هـ/2000م) ، ج 9 ، ص 487.

أعداء الإسلام أرادوا أن يقدموا الشباب كبش فداء ، وهو في بداية عمره لا يعلم ما يفعل ، فيُستغل ويُضحى به ، وهذا تدمير للمجتمع .

والشاب لا يمتلك الخبرة أولاً ، وتحيط به الشهوات ثانياً ، وثالثا مندفع مما يجعله فريسة سهلة يقع في شبكات الأعداء ، يُدفع للأمر بدون أن يعلم ! عكس من كان رجلاً قد خبُر الحياة ! فهنا مصيدة لا مكان قيادة .

نعم نهيئ شباباً لهم عقلية متفتحة ، نرى فيهم من الذكاء والتوقد في حياتهم ،وإدارة الأمور ، والقيادة ، مثل هؤلاء الشباب يجب أن يهيئوا لقيادة مستقبلية مع متابعتهم ، لأن الأمر يخص الأمة ؛ وهذا من فعل السلف كيف اهتموا بأطفال وشباب عندما عرفوا فيهم النبوغ كأمثال ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنهما وأسامة بن زيد رضي الله عنهما والإمام الشافعي وأحمد والبخاري والنووي والسبكي وابن تيمية وصلاح الدين الايوبي وكثير من علماء هذه الأمة وقادتها وفي شتى المجالات .

وعلى الشاب أن تُعطى له جميع حقوقه فهو مُهمل من جوانب كثيرة ، في بيته في مدرسته وجامعته ، في عمله ، بين أقربائه وعشيرته وأصدقائه في خضَم هذه التعقيدات في الحياة ، والجهل بدينه ودنياه ، ومُهمل من جانب الدولة ، ولذا تخرج لنا مثل هذه المساوئ.

فالشاب غير متوازن لاختلاط الأفكار والتوجهات والأخلاق ، فنرى في تاريخنا عندما سُميَّ العصر الذهبي في العصر العباسي الأول ؛ لا لكونه كثير المال ، وإنما الرفاهية الاجتماعية والبساطة في الحياة ، وانتشار العلم مما جعل الكبير والصغير والمرأة والرجل لا يعانون من مشاكل في الحياة ، فانتشر عندهم الأبداع والراحة في المجتمع آنذاك ، بل والانتصارات.

وطرف آخر أراد ان يجعل الشاب الذي ليس له علم و لا خبرة في الحياة فيقدمه أميراً وقائداً وعمره 17–18سنة ويستند إلى حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ؛ فهذا خطر عظيم يُراد منه تدمير الأمة ، وتدمير البلد ، أو القرية وهو لا يعلم ما يعمل على دمار البلد أو الأمة بدون أن يفهم ؛ ومن وراءه شياطين ينفذ لهم المخطط الذي رسموه له وهو أعمى يجهل ما يفعل، ومنساق لهم بالخضوع التام بدون وعي ، وهو يخرج عن الشرع الرباني ؛

فقول سيدنا علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم حينما أرسله لفتح خيبر ((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لا دفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله فيفتح عليه ، قال عمر رضي الله عنه فما أحببت الإمارة قبل يومئذ ، فتطاولت لها واستشرفت رجاء ان تدفع اليّ ، فلما كان من الغد دعا علياً رضي الله عنه فدفعها اليه فقال : قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عز وجل عليك فسار قليلاً ، ثم قال يا رسول الله على ما أُقاتل ؟ قال : حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله([1]).

وهنا يأتي سؤال علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله على ما أُقاتل ؟ أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، وهذا يعني ترسيخ روح الإنسانية في عقيدة المسلمين بالرغم من الأمر النبوي إليه ليسأل عن ماهية المقاتلة ، (على ما أقاتل) فالغاية ليس القتال أولاً ؛ بل الدعوة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام ، يعطي النبي صلى الله عليه وسلم القوة المعنوية ليجعل الجيش قوياً فبقدرته على القتال والتمكن من العدو ، ولكن الدعوة إلى الإسلام هي الغاية الأساسية ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دمائهم وأموالهم في دخولهم إلى الإسلام، ويرسخ النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ السلم والسلام بقوله لعلي رضي الله عنه كما في رواية البخاري([2]): (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حَمر النعم) ، ولكن استكبار اليهود فأبوا إلا القتال ، فانطلق جيش النبي صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليهم خيبر وفدك([3]).

هنا سؤال سيدنا علي رضي الله عنه لشخص النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستفهم عن ماهية الأمر ؟ وعن ماذا يقاتل ؟ وأولياته ؟ ؛ واليوم يُسيَر الشباب بكلمة الفصل

---

[1] – مسند الطيالسي، ص320. مسند الإمام أحمد ، ج2 ، ص384 ، صحيح البخاري ، ج7 ، ص468 ، صحيح مسلم ، ج3، ص144 ، ج4 ، ص871 ، صحيح ابن حبان ، ج15 ، ص379–382 ، سنن البيهقي الكبرى ، ج5 ، ص11 . يُنظر كتابنا الطيالسي ومروياته التاريخية ، (طبع دار النوادر) .

[2] – الصحيح ، ج7، 476 .

[3] – ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج7 ، ص477 .

عندهم >> نفذ ولا تناقش<< وهكذا .... فهو لا يعرف الأمر؟ ولماذا ؟ وغاياته ؟ ومن يعطيه الأمر ؟ وكيف يستلم الأمر ؟ فتكون المفسدة عظيمة .

فننظر إلى إمارة أسامة كان معه من خِيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم عمر رضي الله عنه ، وكبار المهاجرين والأنصار وهم عوناَ له في أمور الشرع وحكمة القيادة كما دلت المروية ، (آخر لواء عقده – أي رسول الله صلى الله عليه وسلم – بيده لأسامة على أثنى عشر ألفا من الناس فيهم عمر فقال إلى أين يا رسول الله قال عليك بيبنا فصبحها صباحا فقطع وحرق وضع سيفك وخذ بثأر أبيك ، واعتلَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقال :جهزوا جيش أسامة ، أنفذوا جيش أسامة فجهز إلى أن صار إلى الجرف واشتدت علة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم يريدك فرجع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أغمي عليه ثم أفاق صلى الله عليه وسلم فنظر إلى أسامة فأقبل يرفع يديه إلى السماء ثم يفرغها عليه ، قالوا : فعرفنا أنه إنما يدعو له ثم قبض صلى الله عليه وسلم فكان فيمن غسله الفضل ابن العباس وعلي بن أبي طالب وأسامة يصب عليه الماء فلما دفن عليه السلام قال عمر لأبي بكر ما ترى في لواء أسامة ؟ قال : ما أحل عقدا عقده النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يحل عن عسكره رجل إلا أن تكون أنت ؛ ولولا حاجتي إلى مشورتك لما حللتك من عسكره ...)([1]) ، واستأذن من أسامة برجوع عمر رضي

---

[1] – تمام الرازي ، تمام بن محمد الرازي ، أبو القاسم (ت414هـ) ، الفوائد ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، (مكتبة الرشد ، الرياض ، 1412هـ) ، ج 2 ، ص 85 . التقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج 10 ، ص 575: فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ولا يحله حتى يغزوهم أسامة فقال بريدة: فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلى بيت أسامة ثم خرجت به إلى الشام معقودا مع أسامة، ثم رجعت به إلى بيت أسامة فما زال معقودا في بيت أسامة حتى توفي أسامة فلما بلغ العرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد منها عن الإسلام قال أبو بكر لأسامة أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأول، فشق على كبار المهاجرين الأولين ودخل على أبي بكر عمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالوا: يا خليفة رسول الله إن العرب قد انتقضت عليك من كل جانب وإنك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئا اجعلهم عدة لأهل الردة ترمي بهم في نحورهم، وأخرى لا تأمن على أهل المدينة أن يغار عليها وفي الذراري والنساء . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي ، ج 10 ، ص 576. =

الله عنه لحاجتهم إليه والنبي صلى الله عليه وسلم في أنفاسه الأخيرة ؛ إذن كان هناك كبار الصحابة في جيش أسامة وهو تحت مظلة قيادة معروفة لا يخرج عنها إلا في أسلوب القتال.

وسبب آخر في تقديمه لخصوصية النبي صلى الله عليه وسلم له ، الثأر، أو لتشجيع الشباب على تولي القيادة تحت قادة الشيوخ كما في المروية : ((وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : سِرْ إِلَى مَوْضِعِ مَقْتَلِ أَبِيكَ ، فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ ، فَأَسْرِعِ السَّيْرَ وَاسْبِقِ الْأَخْبَارَ ، وَخُذْ مَعَكَ الْأَدِلَّاءَ ، وَقَدِّمِ الْعُيُونَ ، وَاغْزُ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى : فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ فَإِنْ ظَفَّرَكَ اللَّهُ بِهِمْ فَأَقْلِلِ اللُّبْثَ))([1]).

فالشباب لهم مكانة في المجتمع وهم نبض المستقبل ، بل درع المجتمع وقوامه ، فيجب أن تُعطى لهم الفرصة في أمور مفيدة للأمة بدون إخلال ، فهو لا يُعطى له كل شيء فيخرج عن قواعد الأمة ؛ بل الاضرار بها ؛ ولا جعله مصيدة ؛ أو لا قيمة له غير فعَّال بالمجتمع مُسيس بدون عقل وفهم .

=فلو استأنيت بغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجرانه ويعود أهل الردة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف ثم تبعث أسامة حينئذ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا؟ فلما استوعب أبو بكر كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئا؟ قالوا: لا ، قد سمعت مقالتنا فقال: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث ولا بدأت بأول منه كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي من السماء يقول: " أنفذوا جيش أسامة" ولكن خصلة أكلم بها أسامة أكلمه في عمر يخلفه يقيم عندنا فإنه لا غنى بنا عنه، والله ما أدري يفعل أسامة أم لا، والله إن أبى لا أكرهه فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة، ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر ففعل أسامة، وجعل يقول له: اذنت ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم، قال: وخرج فأمر مناديه ينادي: عزمة= =مني أن لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشيا، وأرسل إلى النفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في إمارة فغلظ عليهم وأخذهم بالخروج، فلم يتخلف عن البعث إنسان واحد.

[1] – الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد ، (ت450هـ) ، الحاوي في فقه الشافعي ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1414هـ/1994م) ، ج 14 ، ص 90 .الغريب رأينا مثل هؤلاء السفهاء ، أو ضعف في نفسه ، أو عنده نقص في شخصيته وعقليته ، وهو لا يفهم من الدين شيئا ؛ بل حتى لم يصلْ ، وهو يتكلم بأمور أكبر من حجمه وخصوصا في الدين والدماء والعلم وغير ذلك .

حتى نصل إلى الهدف المنشود ، وعدم اللالتجاء إلى الفوضوية ، وأتخاذ القرارات الفورية ، أو الفتاوي الارتجالية الانفرادية بدون دراسة وتمحيص ومشورة ؛ فلا بد أن يكون العمل جماعي ، شوري ، وهذا عمل المؤسسات التي نفتقدها وذلك لتقليل الأخطاء([1]) ، وعدم الانفراد بالرأي، وكذلك التخصيص في الأعمال أي إعطاء لكل فرد أختصاص ليبدع فيه ، ونقصد أعطي للشباب فرصتهم ودعهم يتمرنوا على القيادة ، وأخذ رأيهم فيما أبدعوا أو خبرتهم بهذا المجال وتقديمه في بعض الأمور حتى تختمر عقولهم ؛ ولكن القرار يكون عند الكبار لا عند الشباب للأمور الذي ذكرناها سابقاً وما جاءت بها السنة النبوية ؛ ومن الخطأ الغاء الشباب ، فهم الدرع لكل مشروع والسبب الأكبر في إنجاحه .

- وأمر مهم هو التخطيط لكل عمل نريد أقامته *بوضع الخطط والأهداف لنسير على نقطة محددة هادفة ولتحقيق المشروع الذي رسمناه .*

فالتخطيط : عبارة لدراسة أي مشروع من جميع جوانبه ، وعلى امكانية نجاحه وفشله .

وهذا مبني على ما قدمناه من تظافر الجهود كباراً وشباباً مع مراعاة ما قدمناه في الاولوية لمن يؤسس يجب أن يكون من أهل العلم والخبرة والسن مع تاريخ المؤسس لئلا تسيس بعد ذلك لأهل الكفر والنفعية .

وقال مزاحم بن زفر : قال لنا عمر بن عبد العزيز : خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة ، كانت فيه وصمة : أن يكون فهماً ، حليماً ،عفيفاً ، صليباً ، عالماً ، سؤولاً عن العلم. ([2])

وختاما أسأل الله سبحانه أن وفقني لأبداء ما عندي من أمور لنمضي بخطوات سديدة وموفقة وصحيحة كما قال سيدنا الصديق رضي الله عنه وأرضاه :– (من أسس أساس السوء أسسه على نفسه)([3]) أي هَدمهُ وسقوطهُ .

---

[1] – ملاحظة : كثير من المتنطعين يتذمر عندما يسمع مثل هذا الطرح فيحاول التحايل فيقول : نحن نعمل كمؤسسة وقرارنا شوري ، وهو يعرف في داخل نفسه انه يكذب وما يجري مجرد الضحك على الذقون ويغش بكلماته على الجاهل والجائع ومن هو ضعيف ، اما حقيقة الأمر فليس كذلك فما بُني على باطل فهو باطل ؛ وهذه حقيقة قائمة في حياتنا اليومية " ومع الأسف يكون هذا تحت غطاء الدين أو الوطنية أو الأخلاق " .

[2] – شرح السنة ، الإمام البغوي ، ج10 ، ص120 .

[3] – ابن أبي الدنيا ، أدب الدنيا والدين ، ص330 .

وأساس نجاح الدول أو المشاريع وغير ذلك تجاوز الأخطاء أو الأعتراف بها لكي نصحح مسيرتنا نحو الأفضل مما يؤدي بها إلى التقدم والنجاح .

قال الشاعر :-

وشرط الفلاحة غرس الثمار

وشرط الرياسة غرس الرجال([1])

أذن نحتاج إلى أناس من الذين رسخت أقدامهم في العلم والخبرة والعمر والعدالة والخُلق والشرف وقبل كل شيء الأخلاص وإلا سيكون السقوط لا النهوض([2]) .

ونسأل الله سبحانه أن يمدنا بشخصيات من هذا الطراز ليأخذوا بالأمة إلى قمم الجبال ، وإلى بر الأمان ، والنهوض بالأمة واستعلائها ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

تمت الرسالة واسأل الله قد وفقني فيها

وجعلتها خالصة لوجه الله تعالى

ما أردت الا النصيحة لإخوتنا

وأن نسير على نهج نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم

ونهج السلف الصالح

---

[1] – التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، ص402 .

[2] – من حديثِ الضَّحَّاكِ بن قيسٍ ، عنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إنَّ الله – عز وجل – يقول : أنا خيرُ شريكٍ ، فمن أشركَ معي شريكاً ، فهو لشريكي . يا أيُّها النَّاسُ أخلِصوا أعمالَكُم لله – عز وجل – ؛ فإنَّ الله لا يقبلُ مِنَ الأعمالِ إلاَّ ما أُخْلِصَ لَهُ ، ولا تقولوا : هذا للهِ وللرَّحِمِ ، فإنّها للرَّحِم ، وليس لله منها شيءٌ ، ولا تقولوا : هذا لله ولوجُوهِكُم ، فإنَّها لوجوهكم ، وليس لله فيها شيءٌ)) . وخرَّج النَّسائيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ : أنَّ رجُلاً جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال : يا رسولَ اللهِ ، أرأيتَ رجلاً غزا يلتَمِسُ الأجْرَ والذِّكر ؟ فقالَ رسول الله – صلى الله= =عليه وسلم – : ((لا شيءَ لهُ)) فأعادها ثلاث مرات ، يقول له رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : ((لا شيء له)) ، ثمَّ قال : ((إنَّ الله لا يقبلُ منَ العَمَل إلاَّ ما كانَ له خالصاً ، وابتُغِي به وجهُه)) . ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، تحقيق ماهر ياسين الفحل ، ج3 ، ص32 .

المصادر والمراجع

المصادر

البخاري ، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت 256هـ) :

1–الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت).

البيهقي ، أبو بكر بن الحسين (ت458 هـ) :–

2–السنن الكبرى ، (ط1 ، مصور مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الركن ، الهند ، 1325هـ) .

3–شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، (ط1 ، دار الكتب العلمية – بيروت، 1410هـ) .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 279هـ) :

4–سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت) .

تمام الرازي ، تمام بن محمد الرازي ، أبو القاسم (ت414هـ):

5–الفوائد ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، (مكتبة الرشد ، الرياض ، 1412هـ).

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني (728هـ):

6–مجموع الفتاوى ، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، (دار الوفاء ، 1426هـ/2005م) .

الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (ت429هـ) :

7–التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، (ط2 ، بيروت ، 1975م) .

8–تحفة الوزراء ،تحقيق حبيب علي الوردي ،(مطبعة العاني ، بغداد ، 1977م)

الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، (ت478هـ) :

9–غياث الأمم والتياث الظلم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مصطفى حلمي، (دار الدعوة ، الاسكندرية ، 1979م) .

الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405 هـ) :

10–المستدرك على الصحيحين ، (دار الكتب العربي ، بيروت ، د.ت) ، تحقيق مقبل الوادعي ، (ط1، دار الحرمين ، 1417هـ) .

ابن حبان البستي ، محمد بن حبان بن أحمد البستي ، (ت 354هـ) :

11-الصحيح ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، (ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1414هـ / 1993) .

ابن حنبل ، أحمد الشيباني ، (ت 241هـ) :

12-المسند ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1405 / 1985م) تحقيق شعيب الارناؤوط ، (مؤسسة قرطبة ، القاهرة) .

ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، (ت656هـ) :

13-شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار إحياء الكتب العربي ، عيسى البابي الحلبي).

أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت745هـ) :

14-تفسير البحر المحيط ، تحقيق عادل أحمد ، علي محمد ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ/2001م) .

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المالكي ، (ت808هـ):

15-المقدمة ، (طبعة دار الشعب).

ابن الأخوة ، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي ، (ت729هـ) :

16-معالم القربة في طلب الحسبة ، تصحيح ونقل روبن ليوي ،(مطبعة دار الفنون بكيمبردج 1973هـ-) .

أبو خيثمة ، زهير بن حرب النسائي(ت234هـ) :

17-كتاب العلم ، حققه محمد ناصر الدين الالباني ، (مكتبة المعارف ، الرياض) .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت 275 هـ) :

18-سنن أبي داود ، إعداد وتعليق عزت عبد الدعاس ، (نشر محمد رفيق السيد ، حمص ، 1389هـ / 1969م) .

ابن رجب الحنبلي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (795هـ) :

19-جامع العلوم والحكم ، تحقيق ماهر ياسين الفحل ، (دار المعرفة ، بيروت).

أبو السعود العمادي ، محمد بن محمد بن مصطفى (ت982هـ) :

20–تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، (دار إحياء التراث العرابي ، بيروت) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت310هـ) :

21– جامع البيان في تأويل القران ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1420هـ/2000م) .

علاء الدين البخاري ، عبد العزيز بن أحمد ، (ت730هـ) :

22– كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، تحقيق عبد الله محمود محمد ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1997م) .

الفاسي ، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الشاذلي الفاسي :

23– تفسير البحر المديد ، (ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1423هـ /2002م) .

القشيري :عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت465هـ) :

24 –لطائف الإشارات المعروف بتفسير القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، (ط3 ، الهئية المصرية للكتاب) .

محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي ، (761هـ) :

25– الجامع للأحكام القران ، المعروف بتفسير القرطبي ، تحقيق سمير هشام البخاري ، (ط1 ، عالم الكتب ، الرياض ، 2003م) .

القلعي ، أبو عبد الله ، (ت630هـ) :

26– تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق إبراهيم يوسف ، مصطفى عجو ، (ط1 ، مكتبة المنار ، الأردن).

ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (ت751هـ) :

27– إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، (دار الجيل ، بيروت ، 1973م)

ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ، (ت 774هـ) :

28- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق د. محمد إبراهيم ، محمد عاشور ، عبد العزيز غنيم ، (طبعة دار الشعب ، مصر ، د.ت) .طبعة آخرى (تحقيق سامي محمد ، ط2 ، دار طيبة ، 1999م) .

ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت 273هـ) :

29- السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، د.ت) .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد ، (ت450هـ) :

30- الحاوي في فقه الشافعي ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1414هـ/1994م).

المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين (ت 975 هـ):

31- منتخب العمال في سنن الأقوال والأفعال على هامش مسند الإمام أحمد، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989م) .

مسلم بن الحجاج بن مسلم ، (ت 261هـ) :

32- الجامع الصحيح ، راجعه الشيخ خليل الميس ، المطبوع مع شرح مسلم ، (ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1407هـ / 1987م) ، وطبعة الدار الذهبية ، (طبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت).

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، (ت478هـ) :

33- غياث الأمم والتياث الظلم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مصطفى حلمي، (دار الدعوة ، الاسكندرية ، 1979م).

النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت710هـ) :

34- مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي ، تحقيق مروان محمد الشعار ، (دار النفائس ، بيروت ، 2005م).

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ) :

35 – نهاية الأرب في فنون الأدب ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،المؤسسة المصرية العامة) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، (ت218هـ) :

36- السيرة النبوية ، حققها مصطفى السقا ، إبراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) .

المراجع :

أبو بكر الجزائري :

1- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، (ط5 ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 1424هـ/2003م) .

الحمداني : أحمد عدنان صالح :

2- الطيالسي ومروياته التاريخية ، (طبع دار النوادر) .

الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت1250هـ):

3- فتح القدير (دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، 1414هـ)

الصابوني ،محمد بن علي :

4-صفوة التفاسير ،(دار الصابوني ، القاهرة ، (1417هـ/1997م) .

الصلابي : علي محمد :

5-عصر الدولة الزنكية (مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، مصر 2007م) .

ابن عاشور : محمد الطاهر التونسي(ت1393هـ) :

6-التحرير والتنوير والمعروف بتفسير ابن عاشور مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان) .

ابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت1224هـ) :

7-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق أحمد عبد الله بن ارسلان ، (1419هـ ، القاهرة).

الألباني : محمد ناصر الدين (1420هـ):

8-صحيح الجامع الصغير ، (المكتب الإسلامي) .